

عَنْزَةُ السَّيِّدِ سُوْغَان



أحمد مكي ياتحي



CHIHAB Kids

أجمل حكاياتي

عَنْزَةُ السَّيِّدِ سُوْغَانُ



مقتبسة من حكايات الفونس دودي

رسوم : منصور عموري



كان يات كان، في قديم الزمان، شيخ لم يعرف القراءة فعدّ مع غنائه الستة... لقد كان يقدّمها بسيد بنفس الطريقة :
 في كل صباح، كانت غنزة مشيا تقطع جبلها و تضعه نحو الجبل و حيث كان في قمة الجبل فليس يفترسها...
 ولم تنتفع لداغيات مالكتها أو الخروف من الدُّب أن تشدّك العنزة هذا فشوك.
 غنزاله في يوم من الأيام، و بعدما فقد مشا من غنزاله بنفس الطريقة،
 غزم الشيد سوعال - كما كان يُسمّى - على أن تشتري غنزة سابعة مشاها
 « بلانكا » - لا يمكن تصوّر كم كانت جميلة بعينها الشاعس، و لعينها
 الصغيرة و حوافرها السوداء اللمعة، و لرائحتها المخططة، و خفها الأبيض
 الطويل، كانت راحة فتهثر به.



إضافة إلى أنها ممتعة، كانت « ثلاثيات » تلبس الفداية و تلبس بملابسها دون أن تتركه، و دون أن تلبس
 ساقها في الإناء... كان تشيد شوغان سعيدا « لأن عذرة الشابة لم تكن تشع بالقليل، حتى جاء اليوم الذي
 قالت فيه لنفسها، و هي تتطلع إلى الجبل « كم سأشعر بالسعادة، لو أنني هناك في الأغصان ! أي متعة، كم
 سألقنها في التمسك بين الطياري، لو لا هذا الجبل الملعون الذي يطع على رجلي ! إله يصلح لبحار أو ثور
 يزعم في حظيرة ! أما الماعز فيلزمها الغداء القبيح « و منذ تلك اللحظة، صار غشمت الحظيرة بلا طعم...
 لقد سكن الملل الحظيرة... هزئت العذرة و غرر سرورها و كان مشغرها يسير الشفقة، و هي تشد حبلها طوال
 اليوم، و رأسها متجهة نحو الجبل ضابحة بهزني : « متففعع ! ».



ذات صباح، عندما انتهى السيد سوغان من حلبها، استدارت العترة وقالت له : « إني لا أطيق البقاء في
 الحظيرة، أتركني أذهب إلى الجبل » .
 صاح العجوز مذهولاً : « آه ! يا إلهي ! أنت أيضا يا « ثلاثا » ، تريدان مغارقتي ! » .
 ردت قائلة : « للأسف، هذا ما أرغب فيه يا سيد سوغان » .
 فسألها مجدداً : « هل يتفلسف المشرب هنا ؟ هل جبلك قصير ؟ هل قريب من أن أشد لك الجبل ؟ » .
 ردت قائلة : « لا داعي لكل ذلك سيد سوغان . ما أريد هو الذهاب إلى الجبل » .
 فاجابها شامخاً غليظاً : « ولكن أينما النجاسة ! ألا تعرفين أن الذئب في أعلى الجبل ؟ ماذا ستفعلين عندما
 يأتي إليك ؟ سيهرأ الذئب فصاعداً من قرنك . انترس لي عنوات، قنا عزون أقوى من قرنك بكثير... تعرفين جيداً،
 العجوز ربوة المستقيمة التي كانت هنا العام الماضي ! عشرة سيده، قابضة وقوية مثل تيس... فالتفت الذئب
 طوال الليل... وعند الصباح اقتربها .



بعد كل ذلك الحديث، قالت: « ثلاثكات » : « منكينة ريمو، لا يقيم يا سيد موعان، أتركي
أذهب إلى الجبل ». خير أن العجوز خاف على غرضه، فأغلق عليها الباب فجاء في إسماعيل
مظلم، ولكنه للأسف، لم يثقافده، ولم يكذب بشده حتى غرقت « ثلاثكات » ... عندما
وصلت العنزة البيضاء إلى الجبل، كانت بهجتها وشعائنها غامضتين ... ثم نزل الجبل من أشجار
الصنوبر العتيقة على طول غمرها ... استقبلتها الغابة كمنكبة : انحنى أشجار البوط لئلا يعيها بالعراق
أغصانها، وأقام كل الجبل لها حفلاً، و « ثلاثكات » تنمى في القصب الأخضر، وسبقها إلى
الغطاء، على طول المسحور، على مزيج من الأقواق المنيحة و حبات الكستناء. وعندما رأت
نفسها تقيم في أعلى الجبل، اعتقدت أنها، على الأقل كبيرة مثل لعالم ...



بعد وقتٍ قصير، مرتبت الريح و صار ليلٌ الحُلل تفتحنا، ثم حلَّ المساء. نالت العذرة الصغيرة مندهشة : « أهذه
السرعة !! ». في أسفل الجبل، بالوادي، كانت الحقول تسبح في السديم. و غابت حظيرة السيد سوغان في
الغياب. و لم يعد يظهر من البيت غير السقف و خيط دخان. كما سمعت « باللكات » أجراس قطع بقوة من
الفرغى، و شعرت بالكآبة، و فجأة، تعالت صرخة في الجبل : « عووووووو ! عووووووو ! عووووووو ! ». أحزاه بدت تزداد.
طوال النهار لم تذكر السجونة أمره. .. في هذا الوقت جاء من بعيد صوت يوق تعالى من الوادي، فقد كان الشية
سوغان الطيب يحاول للسرعة الأخيرة، استعادتها : « كان البوق يصيح : « عودي ! عودي ! ... » بينما عواد الذهب
يتردد : « عووووووو ! عووووووو ! ».



وَقَتَهَا زَعَتْ « بِلَالُكَاتِ » فِي الْعُودَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمَا كَانَتْ تُكَلِّمَانِ نَذْرُوتَ الْوَيْدِ وَالْحُلَّ وَ مَبَاحَ الْخُطْبَةِ، أَدْرَكَتْ أَنَّهَا لَا
يَسْكُنُ أَنْ تُطِيلَ تِلْكَ الْحَيَاةَ بَلْ وَ تَلْهُ مِنْ الْمُسْتَحْسِنِ أَنْ تَبْقَى... أَحْبَرًا، صَمْتُ الْبُوقِ... سَمِعَتْ « بِلَالُكَاتِ »
خَلْفَهَا مَبُوتَ شَيْءٍ يُعْمَرُ بَيْنَ الْأَوْرَاقِ... الْغُشَّةِ، وَ رَأَتْ فِي الظِّلِّ أَكْثَرَ قَصِيرَتَيْنِ مُتَنَبِّهَتَيْنِ، وَ عَيْنَيْنِ تُلَمَعَانِ
فِي الظُّلَامِ... كَانَ الدَّقْبُ مَسْمُومًا، سَامِكًا، يَدُلُّهَا عَلَى قَرَابَةِ الْمُسْلِمَةِ، كَانَ يَنْظُرُ إِلَى الْقَمَرِ الضَّخِيمَةِ الْبَيْضَاءِ،
وَ يَتَذَوَّقُهَا مُسَبِّقًا، مَا دَامَ يَخُوفُ جَيِّدًا أَنَّهَا سَيُفْتَرِسُهَا فِي نَهَاةِ الْأَمْرِ... لَمْ يَكُنِ الدَّقْبُ مُسْتَعْجَلًا، وَ عِنْدَمَا انْقَلَبَتْ
إِلَيْهِ « بِلَالُكَاتِ » رَاحَ يَضْحَكُ بِوَقَاعَةٍ قَائِلًا : « آه آه ! عَذْرَةُ الشَّيْءِ سِرْجَانُ الْغَيْبَةِ » وَ عَزَزَ لِسَانَهُ الْكَبِيرَ الْأَحْمَرَ
عَلَى شِدْقَةِ الْغَرِيضَتَيْنِ.



أَسَلَتْ « تِلْكَ كَاث » بِالْعُشْبِاق ... ثُمَّ تَحَرَّثَ فِيمَا فَمَلَتْهُ لَعْنَةُ الْعَمِيرِ « رِيثُود » الَّتِي قَاتَلَتْ الذِّئْبَ طَوَالَ
 اللَّيْلِ حَتَّى افْتَرَسَهَا فِي الْعُشْبِاقِ، وَ قَالَتْ فِي نَفْسِهَا : « زَيْنَا يَسْتَحْسِنُ أَنْ أَسْلِمَ لِلذِّئْبِ مِنَ الْآنَ »، غَيْرَ
 أَنَّهَا عَذَلَتْ عَنْ رَأْيِهَا، وَ تَرَكَتْ مُسْتَعِدَّةً لِلْقِتَالِ : الرَّأْسُ مُتَخَفِضٌ وَ الْقُرُونُ إِلَى الْأَعْنَاقِ، كَمَا يَتَّبَعِي أَنْ تَكُونَ
 عَلَيْهِ حَالٌ عِزَّةٌ شَجَاعَةٍ لِلشَّيْءِ شَوْعَانٌ. لَمْ تَكُنْ « تِلْكَ كَاث » تَأْمَلُ فِي قَتْلِ الذِّئْبِ - ذَلِكَ أَنَّ الْغَنَازَ لَا
 تَقْطُلُ الذِّئَابَ، وَ لِكُنْهَا كَانَتْ - لِقَطْعٍ - تَرُدُّ أَنْ تَرَى مَا إِنْ كَانَ يَاسْتَعِطِغُهَا الدِّقَاقُ عَنْ نَفْسِهَا أَمْحُولٌ مُدَّةً
 تَمَكَّنَتْهُ كَمَا فَعَلَتْ « رِيثُود » أَيْ لَا... وَ هَكَذَا، كَانَ الذِّئْبُ اسْتَعْرِشَ بِتَقْدِيمِ، وَ الْقُرُونُ الطَّعْمِيزَةُ أَفْذَتْ
 نَفْسَهَا، تَمْ ! الْغَلِيظَةُ لِبَاسَةٍ... كَمْ كَانَتْ تُحَارِبُ بِإِزْدَادٍ قُوَّةَ ! أَجْمِرَتْ الذِّئْبُ عَلَى الْفَرَاغِ أَكْثَرَ مِنْ عَشْرِ
 مَرَّاتٍ، لِيَسْتَرْجِعَ أَنْفَاسَهُ. وَ حَلَّالَ تِلْكَ الْقَشِيعَاتِ الْقَعَسِيرَةِ، تَحَابَّتِ الْغَنَازُ تَقْلُطُفَ رُؤُوسِ الْعُشْبِ الْعَقْمَةِ،
 ثُمَّ تَعَوَّدَ إِلَى الْقِتَالِ وَ قَمَّهَا مَسْلُودَةً... دَامَتْ الْمَعْرَكَةُ طَوَالَ اللَّيْلِ..



وَبَيْنَ الْحَيِّينَ وَالْآخِرِ كَانَتْ « بِلَانُكَاتٌ » تَنْتَطَلِعُ إِلَى النُّجُومِ، وَهِيَ تَتَرَفَّصُ فِي السَّمَاءِ الصَّافِيَةِ، وَ تَقُولُ لِنَفْسِهَا :
« آه ! لَوْ أَسْتَطِيعُ الْمُقَاوَمَةَ حَتَّى الْفَجْرِ ! » وَ لَكِنَّ النُّجُومَ تَوَارَتْ، الْوَاحِدَةُ تَلَوَّ الْأُخْرَى... ضَاعَقَتْ « بِلَانُكَاتٌ »
مِنْ ضَرَبَاتِ قَرْنَيْهَا، وَ زَادَ الذُّقْبُ مِنْ ضَرَبَاتِ أَشْنَانِهِ... بَزَعَتْ نُورًا شَاحِبًا فِي الْأَفْقِ... صَعِدَ صِيَاحُ دِيكٍ أَبْعَ مِنْ
خَطِيرَةِ مُجَاوِرَةٍ... قَالَتِ الْعَنْزَةُ الْمَسْكِينَةُ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ فَقَطْ بُزُوعَ الْفَجْرِ لِيَتِمُوتَ : « أَحْيِرًا ! »، وَ تَمَدَّدَتْ
عَلَى الْأَرْضِ، فِي وَبَرِهَا الْأَبْيَضِ الْمَلَطُخِ بِالدَّمَاءِ... وَ انْقَضَ الذُّقْبُ - مِنْ قُوْرِهِ - عَلَى الْعَنْزَةِ الصَّغِيرَةِ، وَ أَكَلَهَا.

